

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الثانية
قِصَصُ السِّيَرَةِ

غُرُفَةُ بَدْرٍ

عبد الحميد جودة السحار

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

(قرآن کریم)

بلغ أهل يثرب (المدينة) أن رسول الله قد خرج من مكة ، فكانوا إذا صلُّوا الصُّبح يخرجون إلى ظاهر المدينة ، وينتظرون قدوم محمد ﷺ ، حتى إذا اشتدَّ الحرُّ عادوا إلى بيوتهم وقد عزموا على أن يخرجوا لاستقباله في اليوم التالي .

وفي أحد الأيام خرج الرجال ، وساروا مسافة طويلة ، ليقابلوا رسول الله ﷺ ، ولكن الشمس اشتدت ، ولم يظهر رسول الله ، فعادوا إلى بيوتهم ؛ وإذا بصوتٍ يصيح :

— هذا رسول الله قد جاء .

— فخرج الناس مسرعين لاستقباله ، وراحوا

يَصِيحُونَ فِي فَرَحٍ :

— جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ .

وَسَارَ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٌ بَيْنَ النَّاسِ ، وَالتَفَّتِ الْجُمُوعُ
حَوْلَهُ ، يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَصَعِدَتِ النِّسَاءُ فَوْقَ
سُطُوحِ الْبُيُوتِ ، وَيَقْلُنَ :

— أَيُّهُمْ هُوَ ؟

— أَيُّهُمْ هُوَ ؟

وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُجَلِّجَةً فِي الْمَدِينَةِ :

— اللَّهُ أَكْبَرُ ! جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ . اللَّهُ أَكْبَرُ ! جَاءَ مُحَمَّدٌ .

اللَّهُ أَكْبَرُ ! جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ . اللَّهُ أَكْبَرُ ! جَاءَ مُحَمَّدٌ .

وَأَخَذَ الصِّبْيَانُ وَالنِّسَاءُ يَقْلُنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ

أَيُّهَا الْمُبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ

ودخل محمد ﷺ يشرب ، وعُرفت منذ ذلك
اليوم بمدينة الرسول .

٢

نزل النبي ﷺ المدينة ، فالتفَّ حوله المهاجرون
والأنصار ، فأخى بينهم ؛ كان يُواخى بين واحدٍ من
المهاجرين وواحدٍ من الأنصار ، فالرجُل الذي هاجرَ
فى سبيلِ الله تركَ ماله فى مكة ، وليسَ له مكانٌ
يبيتُ فيه . فكان على رجالِ المدينة أن يؤوؤوا
مهاجرى مكة ، وأن يُعاونوهم على العيش ، حتَّى
يستقرُّوا فى المدينة ، ويجدُوا لهم عملاً .

وكانَ مهاجرو مكة قد اعتادوا جفافَ جوِّها ،
فلما عاشوا فى المدينة مرَّضوا ، وقد مرَّضَ بلالٌ
وأبو بكرٌ ، فدخلتَ عليهما عائشةُ بنتُ أبى بكرٍ

تعودهما ، فقالت لهما :

- يا أبتِ كيفَ تَجِدُكَ ، ويا بلالُ كيفَ تَجِدُكَ ؟
فذكرَ لها أبو بكرٍ وبلالٌ أنهما يَحْنَانِ إلى مكة ؛
كانت مكة وطنَهُم ، فكانوا يُحِبُّونَهَا ؛ على الرِّغمِ
من أنَّ أهلَ مكة اضطهدوهم وعذبُوهم ، وأنَّ أهلَ
المَدِينَةِ استقبلُوهم استقبالا حَسَنًا ، فما كان الوطنُ
يَهُونُ على أَهْلِهِ ؛ فَذَهَبَتْ عائِشَةُ إلى النَّبِيِّ ، وكانتُ
قَدْ تَزَوَّجَتْهُ ، وقالت له : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وِبلالًا يَحْنَانِ
إلى مكة . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

- اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المَدِينَةَ ، كَحُبِّنا مكة أو أَشَدَّ .

٣

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ مِيعَادِ
الصَّلَاةِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ أَنْ تَفُوتَهُمْ ، وَكَانُوا

يَأْتُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَا كَانَ هُنَاكَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى
الصَّلَاةِ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ
الْيَهُودِ الَّذِي يَدْعُونَ بِهِ لَصَلَاتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ
ذَلِكَ ، وَرَأَى أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاقُوسِ ،
كَمَا يَفْعَلُ النَّصَارَى ؛ وَأَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنَحِثَ ،
لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ لِلصَّلَاةِ ، وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ
فِي الْمَسْجِدِ ؛ جَاءَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ، رَجُلًا عَلَيْهِ
ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ ؛ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ . قُلْتُ :
« يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ ؟ فَقَالَ : « وَمَا
تَصْنَعُ بِهِ » ؟ قُلْتُ : « نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ » . قَالَ :
« أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ » ؟ قُلْتُ : « وَمَا
هُوَ » ؟ قَالَ : « تَقُولُ : اللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ
أَكْبَرُ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ،
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ
عَلَى الصَّلَاةِ . حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ .
اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :

— إِنَّهَا رُؤْيَا حَقٍّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا
عَلَيْهِ ، فَيُؤْذَنُ بِهَا ، فَإِنَّهُ أُنْذِيَ صَوْتًا مِنْكَ .
أُذِّنْ بِلَالٌ ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ؛ وَسَمِعَهُ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ :
— يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ
الَّذِي رَأَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلِلَّهِ الْحَمْدُ » .

سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ مَقْبِلٌ مِنَ الشَّامِ فِي
تِجَارَةٍ لِقُرَيْشٍ ، وَلَمَّا كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ آذَتْهُ هُوَ
وَأَصْحَابُهُ وَاضْطَرَّتْهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ
تَرَكَوْا بِهَا أَمْوَالَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ . قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لأَصْحَابِهِ .

- هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا .
فَخَرَجَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ، لِيَسْتَوَلَوْا عَلَى
الْقَافِلَةِ ، الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا أَبُو سُفْيَانَ ، حَتَّى
يَسْتَعِيزُوا عَنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي تَرَكَوْهَا
مُضْطَرِّينَ فِي مَكَّةَ . وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَخْشَى أَنْ
يَغْزُوهُ مُحَمَّدٌ ، فَكَانَ يَتَجَسَّسُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ
مُحَمَّدٍ . قَالَ لَهُ قَائِلٌ : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ يَغْزُو

قَافِلَتَهُ ، فَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ رَسُولًا ، يُخْبِرُهُمْ
أَنَّ أَمْوَالَهُمْ فِي خَطَرٍ ؛ فَلَمَّا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى مَكَّةَ ،
قَالَ :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ ، قَدْ
عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ ، لَا أَرَى أَنْ تَدْرِكُوهَا .
فَخَرَجَ الرَّجَالُ يَحْمِلُونَ رِمَاحَهُمْ وَأَسْيَافَهُمْ ،
لِيُدَافِعُوا عَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ
إِلَّا أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَسَارَ الرَّجَالُ ،
وَكَانُوا تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلًا ، مَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ
يَقُودُونَهَا ، وَمَعَهُمُ الْمُغْنِيَاتُ يَضْرِبْنَ بِالْدُّفُوفِ ،
وَاسْتَمَرُّوا فِي سَيْرِهِمْ ، لِيُنْقِذُوا تِجَارَتَهُمْ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ رَايَتَانِ
سُودَاوَانِ ، إِحْدَاهُمَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،

والأخرى مع بعض الأنصار ، ولم يكن مع المسلمين إلا فرسان : فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن الأسود . وسبعون بعيرا ، وكان كل ثلاثة من الرجال على بعير .

وبلغ رسول الله أن قريشا قد خرجوا ليمنعوا غيرهم ؛ ولما لم يكن خارجا للقتال ، بل كان خارجا ليستولى على قافلة قريش التي يقودها أبو سفيان ، استشار الناس ما يفعل ؟ فقام رجل وقال :

- يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون .

كان هذا الرجل من المهاجرين ، ولكن رسول الله كان يريد أن يسمع رأى الأنصار ، فقال :

- أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الْأَنْصَارِ :

- وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَجَلٌ » .

فَقَالَ سَعْدُ :

- لَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ

بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عُھُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى

السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَكَ ، فَاْمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا

أَرَدْتَ ، فَنَحْنُ مَعَكَ .

٥

نَزَلَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَ مَاءِ بَدْرٍ ، وَبَنَوْا حَوْضًا

مُلِيَّاءَ مَاءً ، وَنَظَرَ النَّبِيُّ فَرَأَى قُوَّاتِ قُرَيْشٍ ، فَنَظَرَ إِلَى

السَّمَاءِ وَقَالَ :

- اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلِهَا وَفَخَرِهَا
تُحَادُّكَ (أَيْ تَعَادِيكَ) ، وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ
فَنَصْرِكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي .

وَرَأَى النَّبِيُّ يُدْعُو اللَّهَ :

- اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ فِي
الْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ نَصْرِكَ .
وَتَوَاجَهَ الْمُسْلِمُونَ وَقُرَيْشٌ ، وَأَقْسَمَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ :
- أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبِنَ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لَأَهْدِمَنَّه ،
أَوْ لَأُمُوتَنَّ دُونَهُ .

فَلَمَّا خَرَجَ وَسَارَ نَحْوَ الْحَوْضِ الَّذِي بَنَاهُ
الْمُسْلِمُونَ ، خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَضَرَبَهُ
بِسَيْفِهِ ، فَقَطَعَ سَاقَهُ ، ثُمَّ قَتَلَهُ عِنْدَ الْحَوْضِ ، وَعِنْدَ

ذلك خرج ثلاثة من أشرف قريش ، وطلبوا من
يُبارزهم .

صاحوا :

- يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .
فقال النبي ﷺ :

- قُم يا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وقم يا حمزة وقم يا عليّ .
وبدأت المِبارزة ، فقتل حمزة من كان يُبارزه ، ولم
يُمهل عليّ الرجل الذي كان يُبارزه فقتله ، وانتصر
عُبَيْدَةُ على مَنْ كان يُبارزه وقتله ، قتل ثلاثة من
المسلمين ثلاثة من سادات قريش » .

وبدأ أصحاب محمد ورجال قريش يتراشقون
بالنبال ، ثم قال محمد ﷺ لأصحابه :

- والذي نفسُ محمدٍ بيده ، لا يُقاتِلُهُمَ اليومَ رجلٌ ،
فَيَقْتُلَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ
الْجَنَّةَ .

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ ، فَمَشَى الرَّجَالُ إِلَى الرَّجَالِ ،
وَارْتَفَعَتِ السُّيُوفُ وَتَضَارَبَتْ ، وَقُتِلَ أَبُو جَهْلٍ فِي
الْمَعْرَكَةِ ، وَرَاحَ أَبْطَالُ الْمُسْلِمِينَ يُعْمِلُونَ سِوْفَهُمْ فِي
الْمُشْرِكِينَ ، فَكَانَتِ الرُّءُوسُ تُطِيرُ عَنِ الْأَجْسَامِ ،
وَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ سَادَاتِهِمْ قَدْ قُتِلُوا ، فَفَرُّوا ، وَتَبِعَهُمُ
الْمُسْلِمُونَ ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ فِي الْأَسْرِ نَاسٌ كَثِيرُونَ ،
وَوَقَعَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ أَسِيرًا ، وَرَأَاهُ بِلَالٌ ، فَتَذَكَّرَ مَا
كَانَ يَفْعَلُهُ بِهِ فِي مَكَّةَ ، كَانَ يُخْرِجُهُ فِي الصَّحَرَاءِ ،
وَيَضَعُ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ الضَّخْمَةَ ، لِيَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَإِلِهِ
مُحَمَّدٌ . فَصَاحَ بِلَالُ :

- رأسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، لَا نَجَوْتَ إِنْ نَجَا .
وهجم عليه ، وضربَه بالسَّيْفِ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ
قُتِلَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ .
وَأَلْقَى الْمُسْلِمُونَ قَتْلَى قُرَيْشٍ فِي الْقَلْبِ ، وَهُوَ بَثْرُ
بَدْرٍ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ وَقَالَ :
- يَا أَهْلَ الْقَلْبِ . هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ
حَقًّا ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا .
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُنَادِي قَوْمًا مَاتُوا ؟ » .
فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ .
وَانْتَهَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْغَزْوَةُ ضَرْبَةً لِقُرَيْشٍ ، وَنَصْرًا مُعْظَمًا لِحَمْدٍ ، فَكَم
مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ هَزَمَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ
اللَّهُ لِأَهْلِ بَدْرٍ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ
بِبَدْرِ ، وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .